



قيدٌ جديدٌ ينكسر، وفجرٌ صبحَ ينبلج، وخيوطٌ حريةٌ عزيزةٌ تنسج، وإرادة عدوٌ تنكسر، ويقين الفلسطينيين ينتصر، وأملٌ آخر ينهض، ووعدٌ بالحرية يتجدد، وعهدٌ قديم لا يتبدل، وظلالُ رجالٍ يلوحون في الأفق، يطلون من تحت الضباب، وقد ملأوا صفحة السماء، بروءٍ عاليٍ ما طأطأتها السجون، وقاماتٍ مشوقةٍ ما أحنتها المعتقلات، وجوهٌ صبورةٌ وضوءٌ ما عضنتها المعاناة، ولا أشقتها سنون العذاب.

يخرجون من السجون رجالاً كما دخلوها أول مرة، يملؤهم اليقين بالنصر، ويعمر قلوبهم بالإيمان بكل الوطن، فما أوهى السجان عزيمتهم، ولا أضعف إرادتهم، ولا ززع بالنصر يقينهم، ولا أجبرهم على التخلي عن حقهم شقاء السجون، ولا بؤس المعتقلات، ولا صدأً وسماكه أبواب النازرين الصماء، ولا وحشة العزل وكآبة البقاء سنيناً في زنازين العزل منفردين، ولا الحرمان من رؤية الولد، والاحساس بحنين الأم، ودفعه الأب، ولا الحنين إلى حنو الأخ، ووفاء الأخ، وعزوة الجار والقريب.

مرحى بالحرية، وأهلاً بالفرج، وهنيئاً للأسرى الذين سيفرج عنهم بعد أيام، وسيعودون إلى بيوتهم وأهلهم بعد سنواتٍ طويلة من الأسر والاعتقال، إذ تجاوز اعتقال بعضهم أكثر من ثلاثين سنة، قضوها في غياهب السجون والمعتقلات، في ظل معاناةٍ مريرة، وضيقٍ شديد، وحرمانٍ قاسي، وألمٍ كبير، وقد فاتتهم صفاتٌ سبقتْ، وتجاوزتهم فرصٌ كانت، فما تحققت خلالها حريةٍ لهم، ولا كتب لهم الفرج، في الوقت الذي نعم فيه كثيرٌ من إخوانهم بالحرية، واستمتعوا بالانتعاش من قيد السجون والمعتقلات، ففرحوا بعودتهم إلى بيوتهم وأسرهم، ولم ينفصّ عليهم فرحتهم بهم أنهم لم يكونوا مثلهم، ولم يطلق سراحهم معهم، ولم تشملهم قوائم التبادل، ولا مبارارات حسن النية.

اليوم نفرح لأسرانا ومعتقلينا الذين سيخرجون من سجونهم، وسيغادرون معتقلاتهم، أيًا كانت الوسيلة التي سيتم بموجبها إطلاق سراحهم، ففك قيدهم، طالما أنه ليس فيها تنازل عن حق، أو تراجع عن موقف، أو إلزام بنهج، أو تعهد للمستقبل أو اعتذار عن فعل، أو ندم عن عمل، فأهلاً وسهلاً بالحرية، ومرحى بالفرج، نفرح ونبتهج، ونسعد، وسنطرب، ومن قبل سنحمد الله العظيم، الذي مَنَ على الأسرى بالحرية، وأكرمهم قبل الموت بروية أهلهم، والعودة إلى أسرهم، والعيش بالقرب من أولادهم، فهذا فضل من الله عظيم، وكرم منه سبحانه وتعالى جليل، فله جل وعلا نتوجه بالحمد والشكر، إذ هو وحده أهل الفضل والمنة.

لا ظنوا أن العدو الإسرائيلي راضٍ عن هذه المبادرة، أو أنه سعيد بهذه الخطوة، أو أنه يتقدم بها عن طيب خاطرٍ ورضى نفس، وأن مؤسساته الأمنية والعسكرية والسياسية موافقة على هذه المبادرة، ومرحبة بها، وكأنه يريد أن يتقرب بها إلى الشعب الفلسطيني، وأن يبدي له حسن نيته، وسلامة طويته، وجديته في التوصل معهم إلى اتفاقٍ سلامٍ، أو أنه حزينٌ لواقع الأسرى، وغير راضٍ عن احتجازهم وحبس حرياتهم وأنه كدولةٍ متحضرٍ ديمقراطيةٍ متقدمة، يحرص على أن تكون صورته أمام العالم جميلةٌ نقية، فهو لا يقبل أن يحتجز شيوخاً كباراً، ولا أسرى أطفالاً، ولا نساء أو مرضى، مصابين بأمراضٍ مزمنةٍ أو مستعصية.

الحقيقة أن الكيان الصهيوني لا يرغب في الإفراج عن أي أسيرٍ فلسطيني، ولا يتطلع لتقديم أي مبادرة حسنٍ نيةٍ لهم، بل إنه يتطلع إلى أن يبقى عليهم جميعاً في السجون والمعتقلات، يعانون ويعذبون، ويقايسون ويشكرون، فهو لا يشعر تجاههم بأي رحمة، ولا ينظر إليهم بعين الشفقة، بل إنه يقوم بقتلهم قتلاً بطيئاً مؤلماً، وهو يرى أن العديد منهم قد أصيروا بالعمى فقدان البصر، أو بالسرطان وأمراض القلب، ومنهم من شل وقد القدرة على الحركة وخدمة نفسه، ولكن الكيان الصهيوني لا يأبه بهم، ولا يفكر في الإفراج عنهم، أو التخفيف من معاناتهم، ولهذا فإنه لا يفرح لحريتهم، ولا يرضيه عودتهم إلى بيوتهم وأسرهم، وقد بدا عليهم الاضطراب والاختلاف، فخرجوا في مظاهراتٍ واعتصاماتٍ، وتوجهوا إلى المحاكم للطعن، ومنع الحكومة من إطلاق سراحهم، بحجة أنهم قتلة، وأن أيديهم ملطخة بالدماء.

اليوم نفرح ونبتهج، فلا ينبغي لأحدٍ أن يعترض أو يرفض، أو ينتقد ويختلف، أو يحاول من موقعه المريخ، ومسكنه الوثير، وسياراته الفارهة، أو وهو في أهله وبين أولاده، معافيًّا من كل سوء، سليمًا من أي مرض، يأكل أطيب الطعام، ويلبس أبهى الثياب، ويملك قراره الحر بالترحال أو الانتقال، فلا قيود تمنعه، ولا سجان يحبسه، ولا جدران تحيط به، ولا قيود تنغرس في معاصمه، ولا شيء ينفعه حياته، ويقرب مع الأيام أجله، فلا يرفعن صوته منتقداً، ولا يصخبن بموافقت رعنة، وتحليلاتٍ عقيمة، ورؤى مريضة، ووجهاتٍ نظرٍ سقيمة، ولا يناظلن بمعناة الآخرين، وشقاء الأسرى والمعتقلين، وليسكت من أجلهم، ولি�توقف عن اللجاجة والمجادلة إكراماً لهم، فهذا يومٌ ننتظره منذ زمن، وتنزقه منذ حين، وقد أبيضت عيون آباء وأمهاتٍ لهم يبكون انتظاراً لهذا اليوم، الذي فيه يرون أولادهم، عل الله الذي رد يعقوب بصيراً أن يكرمهم في أواخر أيامهم بلقاء من يحبون ويعشقون.

كما لا ينبغي أن تتوقف الجهود ولا المساعي، ولا أن نكتفي بما حققنا، ونرضى بما أنجزنا، بل علينا أن نواصل الجهود، وأن نتابع العمل، وأن نعدد الوسائل والأدوات، فلا ندخل جهداً، ولا نستبقي وسيلة، وألا نيأس أو نمل، وألا نستجم أو نرتاح، وألا نحمد وسائلنا عند طريقةٍ واحدة، وإن كان الأمل أن ينجح مقاومونا في أسر جنودِ إسرائيليين، نجبر به الحكومة الإسرائيلية على القبول مرغمةً بتبادلٍ جديدٍ للأسرى، نحقق من خلاله الحرية العزيزة لأكبر عددٍ من أبنائنا، وقد أكرمنا الله بأسرى إسرائيليين سابقين، حققنا من خلالهم صفقاتٍ مشرفة، كانت نتيجتها الإفراج عن مئات الأسرى والمعتقلين، أفرحنا

وأسعدتنا بعزةٍ وكرامة، وأبكت العدو ومرغت أنفه بالتراب، وأجبرته على أن يفتح الأبواب، وأن يكسر الأقفال، ويخرج من عتمة الزنازين مئات الرجال الأبطال.

المصادر: